



البعد الوطني لدى الشباب الجزائري (أثناء الثورة التحريرية)

الدكتور أحمد عصماني

مقدمة:

بانتهاى الحرب العالمية الثانية وحدث مجازر الثامن ماي 1945 والتي خلفت جروحا لا تندمل في نفوس الجزائريين وخاصة الشباب منهم، وحطمت فيهم آمالا كانت معلقة على نتائجها، وجد الشعب الجزائري نفسه أمام تحد صعب ففرنسا التي دعت الشباب الجزائري إلى القضاء على الاحتلال الألماني مقابل منح الحرية للجزائريين لم تف بوعدها ومارست القمع في حقهم وارتكبت مجازر في صفوفهم، وقضت بذلك على كل وسيلة تفاهم من شأنها أن تؤدي إلى التفاوض السلمي الذي يترتب عنه استعادة استقلال الجزائر، وصار - بذلك - مصير الجزائر بأيديهم، إما الاستكانة للاستعمار والعيش في عبوديته أو الثورة مهما كانت التضحيات التي تتطلبها الحرية، فاختار الشباب الجزائري الحل الثاني لأن الروح الوطنية قد تمكنت منهم؛ وهي كالنار الخامدة التي إذا اشتعلت تأت على الأخضر واليابس، لكن هل فعلا كانت الروح الوطنية تسري في سلوكات وتصرفات الجزائريين وخاصة منهم الشباب؟ وكيف كانت مشاركة الشباب الجزائري في مقاومة الاحتلال الفرنسي؟ وما هي الصور الجلية التي جسدت البعد الوطني لديه من خلال هذه المشاركة؟

شباب الحركة الوطنية ومرحلة النضج:

كان على الشبيبة الجزائرية التي التحقت بالتيار الاستقلالي عقب الحرب العالمية الثانية عام 1946 والتي أصابت عندما أدركت أن الاستعمار لا يمكن مهادنته ولا التعامل معه بالوسائل السلمية، سيما بعد فشل هذه الأخيرة في عدة مناسبات، لذلك كان لا بد من استخدام وسائل أخرى والانتقال إلى الكفاح المسلح لاستعادة حرية الشعب الجزائري، وتهيئة الفرص السانحة لشباب أول نوفمبر للانخراط في معركة التحرير وقيادة الثورة الجزائرية إلى النصر، والتعريف بمهوية هذه الطليعة

الثورية التي كان همها الوحيد إعادة الاستقلال الوطني من المحتل الفرنسي، مهما بلغت التضحيات في صفوفها ومهما نالت المحن والمآسي منها.

لقد حذرت الطليعة الثورية الشعب الجزائري من مغالطات الاستعمار الفرنسي وعملائه المترددين والمتخاذلين، وحتى لا يقع الجزائريون في غموض بشأن الجهة التي أعلنت الثورة المسلحة لطرد الاستعمار، فقد نفى بيان أول نوفمبر انتماء قادة الثورة لأحد الطرفين المتنازعين من حركة انتصار الحريات الديمقراطية، هذا الحياد أشار إليه عبد الحفيظ بوصوف في حديث لجريدة **لويسارفاتور (L'Observateur)** الفرنسية حيث قال:

«وكنا نتساءل أي الطريقتين نختار؟ طريق مصالي أو طريق اللجنة المركزية، غير أنه تبين لنا أن الوسيلة الوحيدة للخروج من تلك الوضعية هو الشروع في الكفاح المسلح».⁽¹⁾

هذا النزاع أشار إليه بيان أول نوفمبر، ومما جاء فيه: «نحن نؤكد في هذا الصدد بأننا مستقلون عن الجانبين اللذين يتنازعان النفوذ والسيادة الحزبية (...) إن حركتنا وفق للمبادئ الثورية ليست موجهة ضد أحد إلا للاستعمار الذي هو عدونا الوحيد الأعمى الذي رفض أن يمنحنا أدنى حرية بوسائل النضال السلمي».⁽²⁾

والحقيقة أن التفاف الشعب الجزائري حول الثورة التحريرية تجسد من خلال التحاق عدد كبير منه بصفوف المقاومين حتى بلغ الأمر بقيادة جيش التحرير الوطني إلى استقبال الشباب المتدرب فقط، وقد أكد أحد قادة الثورة هذا الدعم الشعبي للثورة في شتى المجالات.⁽³⁾

شباب الحركة الوطنية يعبد السبيل

قسّم قادة الثورة القطر الجزائري إلى خمس مناطق ثورية ووضع على رأس المنطقة الأولى (الأوراس) مصطفى بن بولعيد والمنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) مراد ديدوش والمنطقة الثالثة (القبائل) كريم بالقاسم والمنطقة الرابعة (القطاع العاصمي) رابح بيطاط والمنطقة الخامسة (القطاع الوهراني) محمد العربي بن مهيدي، ويساعد كل قائد المنطقة ثلاثة نواب في انتظار فتح الجهة الجنوبية (الصحراء).⁽⁴⁾

لقد كان من أهداف الثورة التحريرية هو التركيز على العمليات العسكرية الرامية إلى التخريب وحرب العصابات ومناوشة العدو في كل مكان وإزعاجه باستمرار وحرمانه من الشعور بالراحة والأمن، فكانت العمليات العسكرية الثلاثون⁽⁵⁾ التي نفذتها الطليعة الثورية ليلة الفاتح نوفمبر 1954 إيذانا بمولد مرحلة جديدة من المقاومة والكفاح الثوري في وجه الاستعمار الفرنسي من أجل تحرير الوطن وسحب البساط من تحت أقدام المترددين والمشكلين في قدرة وإرادة الشعب الجزائري في نيل استقلاله.



وبالرغم من استشهاد بعض قادة الثورة أمثال، ابن عبد المالك رمضان القائد الثاني للمنطقة الخامسة وباجي مختار أحد قادة الثورة بسوق أهراس، وديدوش مراد، وسويداني بوجمعة أحد قادة الولاية الرابعة، واعتقال مصطفى بن بولعيد وراح ييطاط خلال المرحلة الأولى من الثورة ولم يبق من القادة سوى كريم بلقاسم ومحمد العربي بن مهيدي بالداخل لقيادة الكفاح ومحمد بوضياف المنسق الوطني الذي لم يتمكن من الدخول إلى الجزائر وتنظيم الاجتماع المقرر عقده في 06 جانفي 1955 قصد تقييم العمل المسلح منذ بداية الثورة،⁽⁶⁾ فضلا عن اشتغال الوفد الخارجي آيت أحمد وبن بلة وغيضر بالأمور الدبلوماسية والدعائية لنصرة القضية الجزائرية في الهيئات الدولية والعمل على تموين الثورة بالسلاح، فإن قوات الاحتلال عجزت عن إخماد لهب الثورة المسلحة، وفصل الشعب الجزائري عنها الذي استجاب للنداء الذي وجهه إليه جيش التحرير الوطني في بداية أفريل 1955 من أجل مواصلة معركة التحرير الوطني والالتفاف حول قيادة الثورة.⁽⁷⁾

وهكذا مضت الثورة الجزائرية تشق طريقها نحو الانتصار، فكان الهجوم الذي دونه زينغود يوسف بالشمال القسنطيني في 20 أوت 1955 منعرجا حاسما في استمرار العمل الثوري،⁽⁸⁾ ثم انعقاد مؤتمر الصومام في نفس التوقيت من عام 1956 الذي قيم المرحلة الأولى من عمر الثورة ورسم خريطة النشاط الثوري ووضع معالم وأسس النظام الجديد الذي تعين العمل وفقه إلى غاية تحقيق الهدف المسطر،⁽⁹⁾ وما إن حلّ شهر سبتمبر 1958 حتى تأسست الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية⁽¹⁰⁾ التي راحت تقود قضية الشعب الجزائري إلى نهايتها المنشودة، ورغم قوافل الشهداء التي بات الشعب الجزائري يدفعها من أبنائه، فإن الثورة لم تتعثر أو تتراجع، ولم تحد السلطات الاستعمارية بدا من التفاوض مع الحكومة الجزائرية التي أفضت إلى تحقيق الاستقلال.

شباب الثورة على خطى الأوائل:

عندما قال الشهيد العربي بن مهيدي «أرموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب» كان يؤمن بإرادة هذا الأخير وإيمانه العميق في التحرر من نير الاحتلال؛ مهما كانت التضحيات والتحديات التي كان ينبغي رفعها في وجه الاستعمار، فالشباب الجزائري المحروم من حقوقه في العيش الكريم لا ينبغي أن يستمر في هذه الوضعية التي عاشها آباؤه، لذلك راح يقدم أروع الأمثلة في مقاومة الاستعمار وحب الوطن بعد اعتزازه بدينه والرغبة في التمسك بهويته وانتمائه، وما هو أحمد زبانه⁽¹¹⁾ يبرهن على هذه الشهادة عشية تعرضه للمقصلة والاستشهاد في 19 جوان 1956، حيث بعث رسالة لوالديه ستبقى خالدة في حياة الجزائريين، ومما ورد فيها: «أرجو ألا تحزننا عليّا، فالجهاد في سبيل



الله حياة أبدية والجهد في سبيل الوطن ما هو إلا واجب»،⁽¹²⁾ وهناك صورة أخرى في حب الوطن والسير على درب شباب الحركة الوطنية رسمها شباب الثورة من خلال الأعمال الفدائية التي قام بها الشباب علي لا بوانت (27 سنة)⁽¹³⁾ رفقة أصدقائه حسية بن بوعلي ومحمود بومحمدي والطفل الصغير عمر ياسف (12 سنة) عندما آثروا الاستشهاد من أجل الوطن في 07 أكتوبر 1957 بأعالي القصبة (الجزائر العاصمة) على الاستسلام للقوات الفرنسية واحتمال اكتشاف مخططات الثورة الفدائية تحت التعذيب، وهناك مثال حي ضربه الشهيد سي الأخضر (رابح مقراني)⁽¹⁴⁾ عام 1957 وهو لم يتعد 22 سنة عندما أراد والده تزويجه باعتباره صار رجلا وأن له أن يستقر، لكن الشهيد رد على أبيه بقوله: «يا أبي لقد تأخرت، لقد تزوجت بالجزائر»،⁽¹⁵⁾ وبالنظر إلى المقام الذي لا يتسع، فهناك المئات من النماذج الخالدة في عشق الوطن حتى النخاع تجلت في صفوف الشباب الجزائري، لكننا نختصرها بصورة إجمالية في الفتاة، الكشاف، الطالب والرياضي، ذلك أن رسالة أول نوفمبر كانت واضحة أمام شباب الثورة (إن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحد حول الاستقلال الوطني).⁽¹⁶⁾

شابات ثورة التحرير وإرادة التغيير:

لم يتوقف كفاح الشابة الجزائرية عند دور الاستناد والتحريض على مقاومة الاستعمار، بل إنها تصدرت صفوفها وقادتها، كما فعلت البطلة لالا فاطمة نوسمر، بطلة الجزائر العظيمة ومفخرة جرجرة السماء التي جمعت بين شرف النسب واستحقاق ذلك الشرف بشجاعته العالية، لقد قادت سنة 1854 إثني عشر ألف رجل وواجهت قادة الاحتلال الفرنسي رغم شظف العيش في الشعب والوديان وقمم الجبال وهي في ريعان شبابها.⁽¹⁷⁾

لقد كانت العناصر النسوية سيما الطالبات المناضلات في صفوف حزب الشعب الجزائري، ثم في حركة انتصار الحريات الديمقراطية في طليعة المنشغلات بالكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي ولم تبق مكتوفات الأيدي أو متفرجات على إخوانن الرجال، بل ساهمت الفتاة الجزائرية في صنع البطولات وتكريس الملاحم الثورية والانخراط في صفوف الثورة مجاهدة ومسبلة وفدائية، ولم يخفها بطش الاستعمار ولا إغراءاته، فكانت حقيقة وقودا للثورة وسما قاتلا في جسد الاحتلال.

الشابة الجزائرية مجاهدة ومسبلة وفدائية

هن الكثرات اللواتي ساهمن في الكفاح المسلح مباشرة إلى جانب الرجال في ساحة المعارك وأبلن بلاء حسنا، وللتدليل على ذلك نذكر بعض النماذج الحية على سبيل المثال لا الحصر: مجاهدة



اسمها مريم من ندرومة (المنطقة الثانية، الولاية الخامسة) كان عمرها لا يتجاوز 15 سنة كانت غير مثقفة، لكنها تمتاز بفكر ثاقب وذكاء متقد، كانت تقوم بالاتصالات السرية بين الجبهة والجيش وتحمل أسلحة الفدائيين متحدية بقطة العدو، وتشتري الأدوية وكل اللوازم التي يحتاجها الثوار وتأتي بها إلى قمم الجبال، رغم الحراسة المشددة التي كان يقوم بها جنود الاستعمار، وتشارك في المعارك إذا اقتضى الأمر. (18)

وشاركت بعض الشابات في المعركة بصورة فعلية؛ كما هو الحال بالنسبة للممرضات صفية بعزيز، فضيلة مسلي، مريم بلميهوب في شهر أوت 1956 بناحية بني مصرى بالولاية الرابعة. (19)

كما ساهمت الفتاة الجزائرية كمسيلة، وهذا الصنف من الكفاح كان يركز على ما يسمى بالاتصالات والاستخبارات حول تحركات العدو، فضلا عن ربط الاتصال بين جبهة التحرير الوطني وجيشها، ويكفي أن نذكر أن المناضلة المعروفة جميلة بوحيرد التي ناضلت في صفوف جبهة التحرير الوطني منذ عام 1956 كانت تتعاون مع عمها في المخبر المعد لصنع القنابل والمتفجرات بالأيبار (الجزائر العاصمة) وعندما اكتشفت القوات الاستعمارية المخبر في 16 ديسمبر 1957 كانت جميلة بوحيرد في عين المكان وأرادت إنقاذ نفسها والفرار من بطش الاحتلال، لكنها أصيبت بطلقات نارية سببت لها جروحا في كتفها، ثم أُلقي عليها القبض وهي تحمل وثائق ووسائل كانت متجهة بها إلى قيادة الجبهة بالعاصمة. (20)

كما كانت الشابة الجزائرية تقوم بأعمال فدائية في غاية الخطورة، فهي تنفذ عملياتها وسط السكان وأغلب الفدائيات من الطالبات اللواتي تركن دراستهن إثر الإضراب الذي شنه الطلبة في 19 ماي 1956 ليلتحقن بالثورة، وتتولى الفدائية تطبيق مخططات فدائية بالغة الأهمية، حيث تقوم بعمليات تدمير مراكز العدو في وضح النهار وتحث أعين الاستعمار من معمرين وعساكر دون أن يشعروا بوجودها أو يشكوا في تصرفاتها، فاستطاعت بصمودها وانتباهها أن تنشر الرعب والفزع والقلق في قوات الاستعمار لتثييط عزائمهم والخط من معنوياتهم، علاوة على ذلك فهي تحمل الأسلحة والمتفجرات وأنواع أخرى من العتاد والوثائق السرية وتنقلها إلى قادة الثورة من مكان إلى آخر بل من مدينة إلى أخرى. (21)

إن المرأة الجزائرية خاصة الشابة منها لم تكتف بالعمل في صفوف الثورة كمجاهدة أو ممرضة لعلاج المرضى والجرحى وجمع المؤونة واللباس والأحذية وتسليمها للمجاهدين أو وضع القنابل وتدمير مراكز العدو، بل شاركت في المظاهرات الشعبية، فحسست فيها الرجال والنساء على السواء وأطلقت صرخات مدوية عالية جندت الجماهير لا سيما جمهور الشباب في مظاهرات منقطعة النظير

في 11 ديسمبر 1960 بالجزائر وفي 17 أكتوبر 1961 بفرنسا. (22)

الشباب الكشفي من النضال التربوي السياسي إلى العمل الثوري

يرجع بعض الكشافين القدماء تأسيس الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى عام 1930 بواسطة تكوين فوج كشفي جزائري كان يحمل اسم «ابن خلدون» بقيادة الصادق الغول ومحمد بوراس في مدينة مليانة. (23)

وباندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 تسابقت العناصر الكشفية للالتحاق بصفوف الثورة، وتدعمت جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني بكفاءات شبابية تتمتع بروح انضباطية وغيرة وطنية عالية، حيث أثبتت ولاءها وإخلاصها للوطن بتبنيها للمبادئ الثورية، وهناك عناصر كشفية أرسلت من طرف جبهة التحرير الوطني إلى معاهد وكلليات حربية في عدد من الدول وخاصة الدول العربية. (24)

وبذلك وجدت الثورة في الكشافين خير العناصر الواعية المدربة على العمل والنظام، المشبعة بالروح الوطنية عن فهم واقتناع، المدركة لكل الأبعاد الثورية، فكانت منهم جبهة التحرير الوطني أحسن الإطارات النضالية، السياسية والعسكرية لقيادة الثورة نحو الانتصار. (25)

لقد استعان ضباط جيش التحرير الوطني بخبرة الكثير من القادة الكشفيين في المجالين التدريب العسكري والصحي لامتلاكهم خبرات في ميدان الإسعاف والإنقاذ، وحقيقة أن أغلب الأطباء والممرضين كانوا قد اكتسبوا خبرات في مجال التمريض عن طريق الكشافة الإسلامية الجزائرية أو من خلال تريضات جد قصيرة، علاوة على استعمال مقرات الكشافة كملاجئ ومستشفيات سرية ومخابئ للذخيرة والأدوية وأمكنة لعقد اجتماعات مناضلي جبهة التحرير الوطني. (26)

من نشاطات الشباب الكشفي:

شارك شباب الكشافة الجزائرية في عدة وفود أرسلت إلى العديد من البلدان في العالم قصد التعريف بالقضية الجزائرية وجلب التأيد والمساعدة لها، وخاصة من حيث المادة والسلاح وشرح أهداف الثورة الجزائرية للجماهير الشعبية العريضة.

كما رافق قادة كشفيون الفريق الرياضي لكرة القدم في خرجاته وجولاته الدولية منهم الشاب إسماعيل، أحد أعضاء اللجنة الكشفية ومسؤول العلاقات الخارجية، وكان من المساعدين على تأدية مهمة الفريق على أحسن وجه، قصد إجراء مباريات رياضية لاسيما في البلدان الاشتراكية. (27)

وفعلا فقد أُنجبت المدرسة الكشفية شبابا متشبعين بالروح الوطنية كانت طليعة ثورية وقمة في التضحية وأداء الواجب الوطني، حيث بدأت عمليات الاستشهاد في الأشهر الأولى من عمر الثورة في صفوف الكشافين أمثال مختار باجي ومراد ديدوش وبوحمدة سويداني وأحمد زهانة (زبانة) ويوسف زيغود ومحمد العربي بن مهيدي وحسية بن بوعلي وأحمد بوقرة وغيرهم.⁽²⁸⁾

الشباب الطلابي من طلب العلم إلى الثورة

باندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 اقتنع الطلبة الجزائريون الذين كانوا يدرسون في المؤسسات التعليمية الفرنسية أن انطلاقها كانت ضرورة حتمية، بعدما أوصدت أبواب التفاهم مع الاستعمار الفرنسي، ولم يتردد الطلبة في الالتحاق بها، ولو كان ذلك بصفة محدودة ولعل غالبيتهم كانت تعتقد أن المشاركة في الكفاح المسلح الذي يقوم به الشعب الجزائري سيكون في نطاق العمل الدعائي داخل الوسط الطلابي الذي تعيش فيه.

ولهذا انتظر الطلبة الجزائريون بعض الوقت حاولوا خلاله أن يبرهنوا لزملائهم من الطلبة الفرنسيين عدالة قضية شعبهم وقدموا لهم شهادات وصور حية عن الإرهاب الفظيع والممارسة الوحشية التي كانت القوات الاستعمارية تعامل بها فئات الشعب الجزائري، ووضّحوا لهم النزعة الوطنية للثورة الجزائرية التي لا تختلف عن النزعة الوطنية الفرنسية تجاه الاحتلال الألماني.

وفي شهر جويلية 1955 قرر الطلبة الجزائريون في جامعة الجزائر وجامعات المدن الفرنسية الانفصال عن الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين الذي تمسك بعقليته الاستعمارية وقاموا بتأسيس منظمة مستقلة الجزائريين المسلمين (UGEMA)، أطلقوا عليها الاتحاد العام للطلبة.⁽²⁹⁾

المبادرة إلى العمل صدرت من الداخل أولا

كان فرع العاصمة -الذي يعتبر امتدادا للاتحاد المتواجد بباريس- يعيش ضغوطا متزايدة حسب تصاعد وانتشار العمل الثوري، لقد فقد الشباب الطلابي الأمل في تغلب العقل على النزعة الاستعمارية من طرف زملائهم الفرنسيين، ففي شهر جانفي 1956 أضرب الطلاب ليوم واحد عن الطعام والدروس تنديدا بالسياسة الاستعمارية التي كانت فرنسا تنتهجها في بلادهم، وكان هذا الإضراب بمثابة إنذار وجهه الطلاب الجزائريون إلى السلطات الاستعمارية في الجزائر، لكن هذه الأخيرة لم تنهّب لذلك ولم تحسب له أي حساب، فقررت المنظمة الطلابية للاتحاد القيام بإضراب لا محدود عن الدروس والامتحانات في جامعة الجزائر أولا، ثم في الجامعات الفرنسية يوم 19 ماي 1956 ودعت الطلبة الجزائريين إلى الالتحاق بجيش التحرير الوطني في الجبال وخلايا جبهة التحرير

الوطني في المدن والقرى ليعملوا كممرضين وجنود ومفوضين سياسيين ومدرسين متنقلين وما إلى ذلك من الأعمال التي تتطلبها الثورة ويستوجبها الكفاح المسلح.⁽³⁰⁾

وتؤكد بعض الشهادات أن عدد التلاميذ الثانويين الذين التحقوا بالثورة - كذلك - كان كبيرا، ومن هؤلاء الثانويين نجل عمارة رشيد ومرتم بلميهورب.⁽³¹⁾

من نشاطات الشباب الطلابي

على الصعيد الخارجي توزع عدد كبير من الطلبة في بلدان العالم مشاركين في العديد من الملتقيات لشرح قضية شعبهم الجزائري، فتوجت الجهودات بالإكثار من البعثات إلى الخارج خاصة إلى أوروبا الشرقية والصين والمشرق العربي ودول الجوار؛ المغرب وتونس، مما ساعد الطالب الجزائري على كسب مزيدا من الأنصار في الأوساط الثقافية والنقابة التي يتصل بها عند حلوله بالأقطار الأجنبية.⁽³²⁾

وبالرغم من الحل والاعتقال والمحنة السرية للطلبة الجزائريين، فقد استطاعوا أن يؤثروا في الاتحادات الطلابية العالمية وكسب تعاطفها مع الطلبة الجزائريين وتأييدها للثورة الجزائرية، ومع ذلك ففي المؤتمر الثالث للاتحاد الذي انعقد بتونس في أوت 1960 خاطب فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة الشباب الطلابي قائلا: «إن مشاركتكم في الكفاح التحريري وفي المحنة الدامية التي فرضت على الجزائر تجعل منكم طليعة الثورة، غير أن الكفاح الذي يقوم به شعبكم ضد الاستعمار الوحشي (...) يجب أن يملئ عليكم تضحيات جديدة (...) إني على يقين أننا نستطيع أن نعتمد عليكم وأنكم ستضاعفون جهودكم وطاقاتكم وشجاعتكم لحق الاستعمار غائيا وتحرير وطنكم تحريرا كاملا»⁽³³⁾.

وحقيقة، فإن الطلبة الجزائريين قد أدّوا دورا مشرفا في جميع المعارك السياسية والعسكرية والتنظيمية التي كانت تتطلبها الثورة داخل الجزائر وخارجها، وقدموا شهداء عديدين إلى أن تحرر وطنهم.

الشباب الرياضي من المجد والأمان إلى التضحية وتشريف الألوان

إن جبهة التحرير الوطني لم تستثن أحدا من الفئات الحية في المجتمع، فبعد مضي عامين على انطلاق الثورة التحريرية اتخذ قادة الثورة قرارا بمقاطعة جميع النشاطات الرياضية بالجزائر في ظل الحرب التي تشنها فرنسا على الشعب الجزائري، حيث والذي كان من المفروض أن يجمع الاتحاد الرياضي البلعاسي (AFN) ألغى اللقاء النهائي لكأس الشمال الإفريقي بمنافسه سبورتينغ كلوب البلعاسي⁽³⁴⁾ بقرار حكومي تفاديا للمواجهة بين الجزائريين والمغربين، وأشارت جريدة «وهران الجمهورية» في 28 سبتمبر 1956 إلى غياب النوادي الجزائرية، مما انعكس سلبا على مستوى

اللقاءات، ومع بداية أكتوبر من نفس السنة غابت الأندية الجزائرية جميعها عن المنافسات الرياضية في ظل الاستعمار الفرنسي، وبانسحاب النوادي الجزائرية اعترفت جريدة «صدى وهران» بأن البطولة صارت ضعيفة وفقدت حلاوتها وحرارتها.⁽³⁵⁾

فريق جيش التحرير الوطني مهّد الطريق

بمناسبة الألعاب العربية التي كانت ستجري لبنان عام 1957 وبمبادرة من مسؤول جزائري، ملحق دبلوماسي لدى سوريا ولبنان عندما طلب من الحبيب دراوة - المدرب الجزائري للفريق التونسي - تشكيل فريق جزائري يشارك في الاستعراض الرياضي وراء العلم الوطني في هذه الألعاب⁽³⁶⁾، تم تأسيس فريق جيش التحرير الوطني في 13 ماي 1957 من لاعبين جزائريين ينشطون في البطولة التونسية،⁽³⁷⁾ ويقول سعدي عبد القادر - أحد لاعبي هذا الفريق - أن تشكيل هذا المنتخب دام 12 شهرا بمساندة محمد بدير مسؤول الفدرالية التونسية؛ حيث قام بعدة جولات مغاربية وعربية معرّفا الشعوب المستضيفة بمسيرة الكفاح المسلح الذي كان يخوضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، واستطاع أن يكسب عطف الشعوب العربية، فجمع خلال سنة من النشاطات حوالي 12 مليارا من السنتيمات لفائدة خزانة الثورة،⁽³⁸⁾ وكان انتصار هذا المنتخب في إحدى مبارياته الهامة حافزا لقادة الثورة بالمضي قدما في تأسيس فريق محترف من اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا يكون سفيرا للقضية الوطنية في المحافل الدولية.⁽³⁹⁾

وإذا كان الذي سبق ذكره حافزا لدى مسؤولي الجبهة بتونس في تأسيس فريق محترف، فإن مشاركة الرياضيين والطلبة الجزائريين النشطين بفرنسا في مهرجان الشباب العالمي بموسكو عام 1957 قد غرست فيهم الاقتناع بأهمية هذه المبادرة، ذلك أن محمد بومزراق أحد مسؤولي الفيدرالية بفرنسا كان يدرك الصدى الذي يمكن أن تثلله الرياضة في الدعاية لصالح الثورة،⁽⁴⁰⁾ وهكذا في صيف بباريس كانت فكرة تأسيس فريق جزائري في كرة القدم من اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا قد تبلورت بالمقر السري للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين،⁽⁴¹⁾ لأن الحكومة الفرنسية وقتئذ كانت تبذل جميع جهودها من أجل إخماد الحركة التحريرية وتحاول ما استطاعت أن تصرف الأنظار عن حقيقة «حرب الجزائر».⁽⁴²⁾

أما فدرالية فرنسا فكانت من جهتها تبذل جهودا مضنية من أجل توضيح نشاطات جبهة التحرير الوطني في فرنسا، ففكر قادة الثورة في القيام بعملية مثيرة تهدف إلى استحلاب أنظار العالم نحو الأوضاع المساوية المفروضة على الجزائريين نتيجة لاستمرار الحرب الاستعمارية، وتمثل هذه العملية في أن الجزائريين بفرنسا كان منهم من يمارس رياضة كرة القدم بالأندية الفرنسية على مستوى

عال من المهارة، مما أكسبهم شعبية واسعة هناك، ومن شأن انسحابهم - فجأة وبكيفية منسقة جماعية - أن يكون محل تساؤل مثير، ليس فقط لدى العالم الرياضي، لكن أيضا لدى الأوساط الفرنسية المتوسطة الشغوفة بالكرة المستديرة.⁽⁴³⁾

موقف اللاعبين الجزائريين المهاجرين بفرنسا من نداء جبهة التحرير الوطني

لذلك وجهت جبهة التحرير الوطني نداء إلى اللاعبين المغتربين بفرنسا قصد التحاقهم بالكفاح، وتم تكليف بومزراق - في سرية تامة - بالتنقيب عن اللاعبين الجزائريين المحترفين في النوادي الفرنسية والسعي إلى توعيتهم بالقضية الوطنية العادلة، وبفضل بومزراق ولعربي والدكتور مولاي بلغت الاتصالات نهايتها بمساعدة بعض مسؤولي جبهة التحرير الوطني بفرنسا⁽⁴⁴⁾ وفي لقاء أثير اتفق الحاضرون على ضبط تاريخ خروج اللاعبين من فرنسا،⁽⁴⁵⁾ ونشرت مصالح الصحافة والإعلام التابعة لها بيانا تعلن فيه بكل اعتزاز أن اللاعبين الجزائريين قد غادروا فرنسا استجابة لنداء الجزائر المكافحة، لقد عبر اللاعبون - يقول البيان - «أنه في الوقت الذي تشن فيه فرنسا على شعبهم حربا بلا هدوء، في الوقت الذي امتنعوا عن مشاركة النوادي الفرنسية في استكمال مشوارهم الرياضي الذي يعد ذا قيمة مالية كبيرة».⁽⁴⁶⁾

ردود الفعل الفرنسية الإعلامية و الرياضية والسياسية

يقول علي هارون أحد قادة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا أن عام 1958 كان يمثل منعرجا حاسما في كفاح التحرير الوطني بفرنسا.⁽⁴⁷⁾ لذلك أقحمت الهياكل التنظيمية للفدرالية النشاطات الرياضية والسياسية في العملية الادعائية الواسعة قصد النيل من الفرنسيين بواسطة أغلى هوية يعشقونها، إنها رياضة كرة القدم التي تلامس رجل الشارع،⁽⁴⁸⁾ فاللاعبون الجزائريون كانوا كلهم ينشطون في الدرجة الأولى ومعروفين بفرنسا، وبقوة الأشياء، فإن هذا الرحيل من شأنه أن يجعل الفرنسيين مصوبين أنظارهم إلى الثورة الجزائرية،⁽⁴⁹⁾ وحقيقة، فإن قضية ترك اللاعبين الجزائريين للنوادي الفرنسية قد شغلت الرأي العام الفرنسي واستقطبت جميع الأوساط للدلو بدلوها حول أسبابها ومسبباتها، فبعد مضي أربعة أيام من احتفاء اللاعبين الجزائريين الأوائل انتاب الجريدة الرياضية المختصة «لكيب» قلق ودهشة ومما حملته في هذا السياق : «لا أحد كان يتصور الانسحاب المفاجئ للاعبين الجزائريين من نواديهم عشية مناقشات البرلمان والاستعداد لإجراء مباراة دولية في كرة القدم مع المنتخب السويسري في إطار تصفيات كأس العالم المنتظر إجراء ثنائياتها بالسويد عام 1958»⁽⁵⁰⁾ لقد ألفت هذه الحادثة بظلالها ليس على الوسط الرياضي فحسب، بل على الوسط السياسي، والخشية كل الخشية أن تنتقل هذه العدوى إلى لاعبين آخرين⁽⁵¹⁾



وكتبت صحيفة ليمانتي (لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي) من جهتها: «هي حرب الجزائر تشبه السرطان الذي يهاجم ميدانا كانوا يعتبرونه خارج السياسة».⁽⁵²⁾

ذلك أن الفريق الفرنسي كان في بداية شهر أبريل 1958 بصدد التحضير لمقابلة الفريق السويسري من أجل خوض مباريات إقصائيات كأس العالم⁽⁵³⁾ التي بإمكانها أن تطرح مشكلة والتي ستكون محل مناقشة من طرف المكتب الفيدرالي خلال الاجتماع القادم، ومن جهة أخرى فإن وضعية اللاعبين الجزائريين تعود أحكامها إلى القانون العام لكرة القدم المحترفة، وبذلك فهم يتواجدون أمام حالة فسخ العقد من طرف واحد.⁽⁵⁴⁾

لم تجد الفيدرالية الفرنسية لكرة القدم حلا لعقلة مساهمة الرياضيين الجزائريين في معركتهم سوى اللجوء إلى الاتحادية ومطالبتها بإصدار قرار يحظر على المنتخبات العالمية اللعب مع فريق جبهة التحرير الوطني FIFA الدولية لكرة القدم.

وقد كان لها ذلك على حد قول بن طوبال،⁽⁵⁵⁾ لأنه على الصعيد المالي مثلت هذه الهجرة خسارة بـ 100 مليون من الفرنكات.⁽⁵⁶⁾

الدور الدبلوماسي والإعلامي والمادي الذي لعبه فريق جبهة التحرير الوطني لصالح الثورة

لقد شكّل خروج اللاعبين الجزائريين المهاجرين من الأندية الفرنسية معطى جديدا أثار اهتمام 1957 أولئك الذين كانوا يدرجون الحرب التحريرية في آخر مراتب اهتماماتهم، فما الذي أدى برياضيين في النخبة يتمتع كل منهم برغد العيش في دار مريحة وسيارة إلى التخلي عن كل شيء والالتحاق بجبهة التحرير الوطني التي كانت تنعت بعصاة من الخارجين عن القانون؟ وهكذا لم تعد الصور المشينة التي كانت تروج للثورة الجزائرية تجد قبولا سهلا لدى الرأي العام الفرنسي، وفي الأشهر الموالية صار تجنيد المتعاطفين الفرنسيين مع القضية الوطنية ضمن شبكات الدعم أمرا ميسورا.⁽⁵⁷⁾

لقد قام فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم بحولات رياضية ما بين عامي 1958 و1962 قادته إلى بكين، ففي الصين استقبل فريق بومزراق استقبال الأبطال، حيث قدم للجمهور الصيني عروضاً شيقة في كرة القدم بحضور الرئيس «ماوتسي تونغ»، وقبل ذلك كان الفريق الجزائري قد استقبل من طرف الوزير الأول الصيني «شون أولاي» الذي كان هو الآخر منشغلا بظروف الحرب في الجزائر ومعجبا-شأنه شأن الجنرال «جياب» بالفيثنام-بالنشاطات الرياضية والدبلوماسية للمنتخب الجزائري، ومما قاله لعناصر الفريق الجزائري: «إننا نستقبل سفراء جديرين بتمثيل الثورة الجزائرية



المجيدة»،⁽⁵⁸⁾ مروراً بعثان، ففي الأردن استقبل فريق جبهة التحرير الوطني عام 1959 من قبل الملك «حسين» ليحلّد الحدث بمسيرات القصر،⁽⁵⁹⁾ وهانوي، ففي الفيتنام- البلد الذي هزم القوات الفرنسية بديان بيان فو- بقيادة الزعيم «جياب فونقوين» استقبل هذا الأخير رفقاء زيتوني بمدخل مقر قيادة الأركان العسكرية ليرافقهم إلى القاعة الشرفية ويخصص أكثر من ثلاث ساعات من وقته لأعضاء الفريق الوطني تحدث خلالها معهم حول بداية مشوارهم الرياضي وكيفية التحاقهم بجبهة التحرير الوطني، مبدياً إعجابه بنضال وكفاح الشعب الجزائري، ومما قاله «هو شين مين» أحد أعوانه في دردشته : «لقد هزمنا فرنسا وهزمتونا، إذن فلتهمزوا فرنسا»⁽⁶⁰⁾ ويوغسلافيا من خلال الجولة الاستثنائية التي قام بها المنتخب الجزائري، فإن اللقاء الذي كان أكثر أهمية بالنسبة إليه هو ذلك الذي جرى بالعاصمة (بلغراد) أمام جمهور يقدر بـ 40 ألف متفرج وعقب انتهاء المباراة انتقل الكثير من سفراء البلدان العربية والإفريقية لتحية عناصر الفريق الجزائري، وبالمنصة الشرفية لم يخف المسؤولون اليوغسلاف ابتهاجهم؛ حيث تفاجأوا بالمنسوجات الكروية التي قدمها أعضاء فريق جبهة التحرير الوطني وانضباطهم التكتيكي، فهم لم يكونوا ينتظروا مشاهدة منتج كروي بهذا المستوى العالي، كما تحدثوا مع عناصر الفريق وحفزوه على مواصلة الكفاح التحرري والثبات على المواقف.⁽⁶¹⁾

وكان يحدث أحيانا أن يرافق قادة الثورة المنتخب الجزائري إلى المطار؛ كما فعل كريم بالقاسم وأحمد بومنجل قبل مقابلة المغرب⁽⁶²⁾ من جهته لعب المرافق الملحق بالفريق محمد علام -باعتباره محافظا سياسيا مكلفا بالدعاية لصالح القضية الجزائرية- دورا كبيرا في جلب تعاطف الجماهير الرياضية عبر كافة البلدان التي زارها فريق جبهة التحرير الوطني، فكان يأخذ الكلمة قبل كل لقاء كروي مخاطبا الجمهور المستضيف : «إن الفريق الذي يلعب أمامكم كرة القدم يريد إسماع صوت الجزائر المكافحة، إن هؤلاء اللاعبين يمثلون بلعبهم الكرة- قضية عادلة».⁽⁶³⁾

والحقيقة أن فريق جبهة التحرير الوطني منذ تأسيسه في ربيع 1958 استطاع أن يعبد طريقه إلى العالمية، فذكرته الصحافة الدولية بإسهاب وأطنيت في إعجاب الجماهير العالمية بروائه الكروية وسلوكه التربوي المنضبط، وكان الجمهور الذي يلعب أمامه يمدّه بالمتعة ويهره بالعروض والنسوج الكروية الممتازة، مما مكّنه من نيل إعجابه وتعاطفه مع القضية الوطنية، فاستقبل من طرف المسؤولين السامين في كل بلد يستضيفه في كل من البلدان العربية، فمن الرباط والدار البيضاء إلى طرابلس وتونس والقاهرة، فدمشق وبغداد وعمان والرياض المناصرة للثورة التحريرية شأنها شأن الدول الاشتراكية الأوروبية مثل بلغاريا والمجر ورومانيا ويوغسلافيا وبولونيا والاتحاد السوفياتي إلى آخره، التي راحت تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الواحدة تلو الأخرى، ولم يتردد حتى رئيس بلدية

روستوف بالاتحاد السوفياتي سابقا في تخصيص استقبال شرقي للفريق الجزائري.⁽⁶⁴⁾

لم يلعب فريق جبهة التحرير الوطني دورا دبلوماسيا لصالح القضية الجزائرية فحسب، بل كانت مساهمته المالية لفائدة خزينة الثورة عظيمة جدا، حيث قام بنشاط مكثف، فلعب 62 مقابلة دولية فاز به 47 مقابلة وتعادل في 11 وخسر 4 مقابلات⁽⁶⁵⁾ ليحصل في الأخير على مدخول مالي قدره 120 مليار فرنك⁽⁶⁶⁾ كان دعما معتبرا للثورة التحريرية في مسيرتها نحو الانتصار.

وعتاما فإن الشباب الجزائري قد أبلى بلاء حسنا في نصرته قضية شعبه وإبطال مزاعم الإستعمار (الجزائر فرنسية) بفضل الروح الوطنية التي غمرته وورغته الأكيدة في العيش في حرية وكرامة كسائر الشعوب التي طلقت الاستعمار بفضل التضحيات الجسام، فالفئات العريضة التي كانت تشكل الشعب الجزائري شاركت مشاركة نوعية منها، الفلاح والعامل والتاجر والفنان، لكن المقام لا يتسع للتفصيل في نشاط كل فئة منها، ولعلّ أصدق شهادة جاءت على لسان أحد مسؤولي جبهة التحرير الوطني المرحوم محمد يزيد عندما أفرد حديثا إلى الإذاعة التونسية في مارس 1961 بقوله:

« هناك حقيقة واضحة، وهي أن ثورة الجزائر كانت ثورة شباب، فتسعون في المائة من جنود جيش التحرير الوطني على الأقل لا تبلغ أعمارهم 25 سنة، كما أن إطارات الجبهة كانت متكونة في معظمها من الشباب ».⁽⁶⁷⁾

المراجع :

1. المجاهد : (لسان حال جبهة التحرير الوطني ظهرت عام 1956) عدد 28 في 1958/8/28
2. وزارة الاعلام والثقافة : النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، «بيان أول نوفمبر» (1954-1962) الجزائر 1979.
3. Robert Barrat, Les maquis de la liberté, ENAD, Alger, 1987, p77
4. عبد الوهاب عثمانى : «التحضير للثورة وتكوين الأفواج»، جمعية أول نوفمبر، الجزائر 1989، ص 86-87.
5. عمارة بن عودة : «الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون المقاومة الوطنية والحركات السياسية حتى ليلة أول نوفمبر»، الملتقى الوطني الأول لتاريخ الثورة، الجزائر، الجزء، الثالث ديوان المطبوعات الجامعية، 1981، ص 156.
6. Mohamed Teguia, L'Algérie en guerre, OPU, Alger, 1998, p101.



7. المجاهد: عدد 2، ص2.
8. علي كافي: من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1954-1962)، دار القصبة، الجزائر، 1998، ص85.
9. EL-Moudjahid, Organe central du FLN, Fondé en 1956, Tome1,p29.
10. المجاهد، عدد 30 في 1958/10/10، صص6-7.
11. من مواليد الغرب الجزائري عام 1926، استقر بمستغانم قبيل انطلاق الثورة، عين من قبل العربي بن مهيدي مسؤولا على ناحية زهانة، فشرع في تنظيم وتأسيس الخلايا الأولى للثورة، تم القبض عليه في 09 نوفمبر 1954 ليحول إلى سجن بربروس بالجزائر العاصمة وينفذ فيه حكم الاعدام في فجر 19 جوان 1956. أنظر في ذلك : مجلة أول نوفمبر، العددان 158/157 عام 1997.
12. EL-Moudjahid, N/1,Tome 1 p20.
13. من مواليد الأضرية في 6 نوفمبر 1934 التحق بالثورة عام 1955 ونظرا لكفاءاته تولى القيادة العسكرية للولاية الرابعة بعد مؤتمر الصومام ليستشهد في معركة بولقرون بجنوب المدية في 5 مارس 1958. أنظر في ذلك : حزب جبهة التحرير الوطني، شهداء ثورة التحرير، منشورات قسم الاعلام والثقافة، الجزائر 1982، ص 147-148.
14. مخطوط قدمه أخ الشهيد إلى صاحب الدراسة.
15. وزارة الاعلام والثقافة (بيان أول نوفمبر)، المرجع السابق.
16. محمد العربي أو بوطارق: «المرأة الجزائرية مشتلة الثورة وحاضنة الوطنية»، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الملتقى الأول حول كفاح المرأة، الجزائر 1998، ص110.
17. أنسية بركات درار: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص46.
18. EL-Moudjahid, op.cit, p50.
19. بركات درار، المرجع السابق، ص58.
20. نفس المرجع، ص 51.



21. عبد الحميد محالدي : «وقفات في جهاد المرأة الجزائرية»، الملتقى الأول، المرجع السابق ص140.
22. صادق الغول: «مخاض ميلاد الكشافة الاسلامية الجزائرية»، جريدة السلام، عدد 1273.
23. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكشافة الاسلامية الجزائرية ، الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الاسلامية الجزائرية ،الجزائر 1999 ،ص74.
24. محمد صالح رمضان: «تاريخ الكشافة الاسلامية الجزائرية» ، مجلة الثقافة عدد 70 (جويلية،أوت 1982) ص62.
25. Mohamed Derouiche, Le scoutisme, Ecole du patriotisme, ENAL-OPU, Alger 1985, p25.
26. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، المرجع السابق، ص70.
27. نفس المرجع، ص74.
28. يحي بوعزيز: «دور الطلبة في ثورة التحرير الوطني (1954-1960)»، الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة الجزائرية ،الجزائر 1984، ص119.
29. المجاهد، العدد الأول، صص 19-20.
30. محمد عباس : «تفاصيل جديدة من أفواه صناع الحدث (اضراب 19 ماي 1956)»، الشروق، عدد 774، في 2003/5/19
31. المجاهد، عدد 73 في 190/7/25.
32. المجاهد، عدد 74 في 1960/8/8.
33. SCBA ويشكل من الجزائريين فقط والثاني: سيورتيغ كلوب البلعاسي(USMBA) الأول: الاتحاد الرياضي الاسلامي البلعاسي ويشكل من أبناء المعمرين، أنظر في ذلك CNER, op.cit, p363
34. Mahfoud Kaddache : «Récit de feu» SNED /SN El moudjahid, Alger 1977
35. Ahmed Arroul : «Le football, une expression de lutte» CNIDS, Magazine spécial N°1,Novembre1994
36. Hamid Grine : Almanach du Sport algérien, ANEP, Alger 1990 p24





37. Ahmed Arroul, op. cit, p97
38. Hamid Grine op cit p24
39. Rabah Saadallah, Djamal Benfares : La glorieuse équipe du FLN, ENAL/GAM. Alger 1985
40. Bendjamin Stora, Ils venaient d'Algérie, L'immigration algérienne en France (1912 - 1962), Fayard 1992 p377
41. عمر بوداود : من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناخيل، ترجمة أحمد بن محمد بخيلي، دار القصة للنشر، الجزائر 2007 ص127
42. نفس المصدر والصفحة.
43. CNER Sur le mouvement national et la révolution du 1er Novembre 54: Jeunesse et Sport, et revendications nationales, Algérie 1940 - 1962, Edition spéciale du ministère des Moudjahidines p429.
44. عمر بوداود: المصدر السابق ص127.
45. Libération, N°/4233 du 16 /04/ 1958
46. CNER sur le MN et la R du 1er Novembre, op.cit p420.
47. Hamid Zouba : Témoignage, INFS /STS Alger, Mai 2004.
48. CNER sur le MN et la R du 1er Novembre54, op.cit p433.
49. CNER .op.cit p433.
50. Benjamin Stora , op.cit, p373
51. الدكتور عبدالله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزء الأول، الجزائر، وزارة المجاهدين عام 2003 ص205 .
52. Benjamin Stora, op.cit p373.
53. Libération N /4233



54. Mohamed Harbi : Le FLN Mirage et ذلك: عضو لجنة التنسيق والتنفيذ مكلف بالداخلية أنظر في ذلك:

Réalité, Alger, ENAL 1993 p403

55. Chikhi Djamel : « Les Onze de l'indépendance » Film ENTV/VM Group Juillet 2002

56. عمر بوداود : المصدر السابق ص128

57. CNER, op.cit p 435

58. Chikh Djamel op cit

59. CNER op.cit p 436

60. A.C.N, Fond GPRA.BT 25

61. CNER, op.cit p435

62. Ibid p436

63. Djamel Saifi, op.cit pp10- 12

64. Ibid p8 - p9

65. هناك بعض المصادر تقدم حصيلة المقابلات الكروية التي أجراها فريق جبهة التحرير الوطني مع مختلف

المنتخبات الدولية ما بين عامي 1958 و1962 على النحو الآتي: حوض 91 مباراة تم تحقيق 65

انتصارا، 13 تعادلا، 13 هزيمة أنظر في ذلك: 54 CNER sur le MN et la R du 1er Novembre

p436

66. El Oueled Houma, Bulletin mensuel N /6, 1999.

67. المجاهد، عدد 91، في 13/3/1961.

